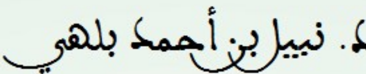
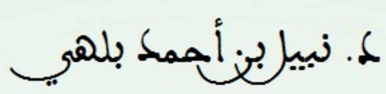
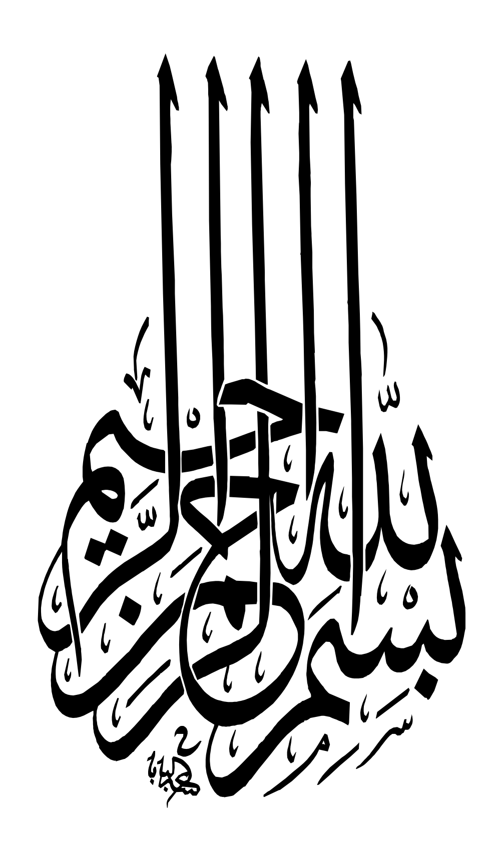


صحيح البخاري والقرآن الكريم ... الخصومة المفتعلة.







صحيح البخاري والقرآن الكريم ... الخصومة المفتعلة

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فمن أساليب أعداء الدين من الحداثيين والقرآنيين، وأذناب الغرب من المشكِّكين والملحدين، أسلوب ضرب صحيح البخاري بالقرآن الكريم، بزعم أنَّ أحاديث البخاري تخالف مضامين القرآن الكريم، والدافع لاستعمالهم هذا الأسلوب هو المكرُ والخديعةُ، والمقصود منه الحيلولة بين عامَّة المسلمين وسنَّة نبيهم، فهم يعلمون مدىٰ تقديس المسلمين للقرآن الكريم وتعظيمهم لشأنه، فيضعونهم في لزومية خاطئة، وهي: **إما أن تكون مع القرآن أو تكون مع البخاري**، ويوهمونهم أنه لا يمكن التمسك بالقرآن الكريم إلا بِنَبْذِ أحاديث صحيح البخاري، وكأنَّ البخاريَّ صنَّف صحيحه ليضاهيَ به تشريعات القرآن.

ويمكننا كشف هذا المخطط اللئيم في وجوه مختصرة، يتبيِّن من خلالها الخيط الأبيض من الخيط الأسود، وتتبيَّن براءة الإمام البخاري من معارضة القرآن، ومخالفة أحكامه، والله الموفِق لا ربَّ سواه.

أولا) هؤلاء الطاعنون في صحيح البخاري بدعوىٰ مخالفته للقرآن الكريم، هم أبعد الناس عن هدي القرآن الكريم، وأكثر الناس تملُّصًا من أحكامه وتوجيهاته، فعندهم ما يسمىٰ بالقراءة المفتوحة والمتعددة للنص القرآني حيث يفهمونه كما شاءوا...أو لِنَقُل: بما يتوافق مع مبادئ الحضارة الغربية، يقول «محمد شحرور» موضحًا مبدأ أصحاب القراءات الجديدة: "**فَهْمُنَا للتنزيل الحكيم خَاضِع لمعارفِنَا** وعلومِنَا الحالية، ومن أجل ذلك كلِّهِ آمنَّا ولا نزال نؤمن بمنطلقنا".[1]

---

[1] القصص القرآني، محمد شحرور: ١/ ١٢٠.

ويقول كذلك: " التنزيل الحكيم مطلق في ذاته **لكنَّه نسبي لقارئه**؛ لأنَّ نسبيته تتبع تطور نظم المعرفة وأدواتها لدىٰ الإنسان".[١]

ومن شاء التأكد من هذا، فلينظر إلىٰ تفسيرهم للآيات المتعلقة بالحدود والجهاد، والمرأة، فإنه سيجد العجب العجاب من التأويل المتعسِّف المخالف لإجماع المفسرين.

إذن فغايتهم الحقيقية هي ضرب السنة بالقرآن، ثم التفرغ لتأويل آيِ القرآن الكريم بما يناسب أهواءهم، وما تملِيه عليهم الدوائر الغربية المتربصة بالإسلام.

ثانيا) مِمَّا لا يعرفه هؤلاء المعاصرون أنَّ الإمام البخاريَّ **(رجلٌ قرآني)** بالمعنىٰ الصحيح لهذا المصطلح، فهو حافظ للقرآن الكريم، صاحب قيام وتهجُّد به، ممن ذاق حلاوته، وتدبَّر معانيه، قال مسبح بن سعيد: "كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أَوَّلُ ليلة من

[١] الكتاب والقرآن، محمد شحرور: ص ٤٩٦.

شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه **فيصلِّي بهم ويقرأ** في كلِّ ركعة عشرين آية، وكذلك إلىٰ أن **يختم القرآن**، وكان يقرأ في السَّحَرِ ما بين النصف إلىٰ الثلث من القرآن **فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار كلَّ يوم ختمة**، وتكون ختمةٌ عند الإفطار كلَّ ليلة ويقول: عند كلِّ ختمٍ دعوة مستجابة".[١]

وقال شيخه عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: "محمَّدٌ أكيسُ خلق الله، **إنَّه عقلَ عن الله ما أَمَرَهُ به، ونهىٰ عنه في كتابِهِ**، وعلىٰ لسان نبيِّه، **إذا قرأ محمَّدٌ القرآن، شغَلَ قلبَه وبصرَهُ وسمْعَهُ، وتفكَّرَ في أمثالِهِ، وعرَفَ حلالَهُ وحرامَهُ**".[٢]

أمَّا هؤلاء المعاصرون فالواحد منهم لا يحسن تلاوة القرآن الكريم تلاوةً صحيحة، فتجدُه يلحن اللحن الجليَّ في نطقه بالقرآن، ثم هو يرفع عقيرته تطاولًا علىٰ الإمام البخاري، يزعم أنَّه ليس من أهل الفقه في القرآن.

---

[١] تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ٢/ ٣٣١.

[٢] سير أعلام النبلاء، الذهبي: ١٢/ ٤٢٦.

ثالثا) الإمام البخاري مفسِّرٌ بارعٌ، له باع طويل في تتبُّع معاني آيات القرآن الكريم، وتفهُّمها علىٰ الوجه الصحيح، ومن نظر في «**كتاب التفسير**» من جامعه الصحيح أيقنَ ذلك، حيث أخرج في هذا الكتاب نحوا من (٥٠٤) أحاديث في تفسير آيِ القرآن الكريم سورةً سورةً، فضلا عن الأبواب التي يبوِّبُها في هذا الكتاب، والتي القصْدُ منها توضيح المعاني وبيانها ، معتمدًا في ذلك علىٰ تفاسير الصحابة والتابعين وأهل اللغة الموثوقين، كقوله: "باب قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ [الأحزاب: ٥٦]. قال أبو العالية: صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء. قال ابن عباس: يصلُّون: يبرِّكُون".[١]

ومصادره في تفسير كتاب الله مصادر عالية القيمة عند أهل التخصُّص، ككتاب «معاني القرآن» للفرَّاء، (٢٠٧هـ)، و«غريب القرآن» و«مجاز القرآن» لأبي عبيد القاسم بن سلام، (٢٠٩هـ).

[١] الجامع الصحيح، البخاري: ٦/ ١٢٠.

ومما يؤكِّد أهلية الإمام البخاري في علم التفسير، أنَّ أهل التراجِم والفهارس، ذكروا أنَّ له كتابًا في التفسير اسمه «**التفسير الكبير**» لم يصلنا، فهو في عداد المفقود.

ومن كانت هذه هي منزلتَه في علم التفسير، وكَثُرَ اشتغاله بهذا الفن، فبعيد جدًّا أن يخرج أحاديثَ تضادُّ القرآن الكريمَ أو تناقض أحكامه.

وأمَّا أعداء البخاري فهم من أبعد الناس عن علم التفسير، وتتبع المعاني القرآنية في مظانِّها، وإنما هم **أتباع المتشابه** الذين حذَّرَنا الله منهم، فقال: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ** ﴾ [آل عمران: ٧] وصدق عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- حين قال: "سيأتي قوم يأخذونكم **بمتشابه القرآن** فَخُذُوهُمْ بالسنن؛ فإنَّ

أصحاب السنن أعلم بكتاب الله".[١] فالبخاريُّ والمنتسبون لأهل الحديث هم أعلم الناس بتأويل كتاب الله وتفسيره، كما قرر عمر -رضي الله عنه-.

رابعا) من معالم منهج الإمام البخاري في جامعه الصحيح، **ربط الأحاديث النبوية بالقرآن الكريم، وفهم السنن النبوية في ضوء الكتاب الكريم**، وهذا الأسلوب الذي تميَّزَ به الإمام البخاري ينسفُ تلك الدعوىٰ الزائفة، وهي: أنَّه يخرج أحاديث تخالف القرآن، ولعلَّنا نضرب مثالًا علىٰ هذا المنهج ليتَّضِحَ المقام، وهو حديث أخرجه البخاري و استشكلتْهُ عقول هؤلاء الحداثيين والليبراليين.

قال البخاري في صحيحه: "باب ما يُتَّقَىٰ من شؤمِ المرأة، وقوله تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ** ﴾ [التغابن: ١٤]...ثم أخرج حديث: عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن

---

[١] أصول السنة، ابن أبي زمنين المالكي: ص ٥٠.

رسول الله ﷺ قال: «**الشؤم في المرأة، والدار، والفرس**».[١]

قلتُ: أراد بهذا البخاريُّ تفسير الشؤم المنسوب للمرأة في ضوء القرآن الكريم، أي: أنَّه شؤم المعصية، وليس المعنىٰ أنَّ المرأة مشؤومة بطبيعتها لكونها أنثىٰ، بدليل أن القرآن سمَّىٰ المرأة العاصية عدَّوةً لزوجها، فاجتمع القرآن والسنة علىٰ مَعْنًا معقول وهو: أن المرأة المؤمنة المطيعة لربِّهَا ميمونة مباركة، صَدِيقَة لزوجها، والمرأة العاصية، مشؤومةٌ عدوَّة لزوجها.

خامسا) إنَّ ما ادَّعاه هؤلاء المعاصرون من أن أحاديث صحيح البخاري خالفتْ القرآن الكريم بعد عرضها عليه، هو سوء فهم سببه قصور العلم، والبعد عن التخصُّصِ، وعدم امتلاك أدوات الجمع بين النصوص التي ظاهرها التعارض، فلا يوجد حديث صحيح متفَّق علىٰ صحَّته -كأحاديث صحيح البخاري- يخالف القرآن، إلا في أذهان أعداء السنن، أصحاب العجلة في إصدار

---

[١] الجامع الصحيح، البخاري: ٧/ ٠٨.

الأحكام، الذين يصدق عليهم قول الله تعالىٰ: ﴿**بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ**﴾ [يونس ٣٩] .

يقول الإمام الشافعي: "سنَّة رسول الله لا تكون مخالفةً لكتاب الله بحالٍ، ولكنَّها مبيِّنة عامَّه وخاصَّه".[١]

ويقول ابن حزم: "كلامُه عليه السلام لا يتناقض ولا يتكاذَبُ ولا يخالف كلام ربِّه عزَّ وجلَّ، بل كلامه عليه السلام يصدِّقُ بعضُهُ بعضًا، ويوافق لما أخبر به عزَّ وجَلَّ، ومعاذ الله من غير ذلك".[٢]

ويقول ابن قيم الجوزية: "وقد أعاذ الله رسولَهُ أن تعارض سنَّتُهُ لنصوص القرآن بل تعاضدها وتؤيِّدها، ويا ألله! **ما يصنع التعصُّب** ونصرة التقليد، وقد تقدَّم من الكلام علىٰ الآية ما فيه كفاية، وبيَّنا أنها لا تعارض بينها وبين سنَّة رسول الله بوجهٍ، وإنما يُظَنُّ التعارض من سوء الفهم، **وهذه طريقة وخيمة ذميمة**، وهي ردُّ السنن الثابتة بما يفهم من ظاهر القرآن، والعلم كلُّ العلم تنزيلُ السنن علىٰ القرآن،

---

[١] الرسالة، الشافعي: ص ٢٢٨.

[٢] الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم: ٤/ ٦٢.

فإنها مشتقَّة منه، ومأخوذة عمن جاء به، وهي بيان له لا أنها مناقضة له".[1]

وقد تفطَّن أبو المظفَّر السمعاني لغرض أصحاب منهج ضرب السنة بالقرآن، وهو هدم السنة النبوية جملةً وتفصيلًا، فقال: "فإنَّا بحمد الله تعالىٰ لم نجد خبرًا صحيحًا يخالف الكتاب، بل الكتاب والسنة متوافقان متعاضدان، وإن عَرَضَ سؤالُ سائلٍ في كتاب أو خبر، فقد أجاب عنه علماء السنَّة... **ولكنَّ غرضَ القومِ ومرماهُم ردُّ السنة وَطَيّ الأحاديث جملةً** ".[2]

سادسا) رَفْضُ بعض المعاصرين لأحاديث صحيح البخاري بدعوىٰ مخالفتها للقرآن، هو امتداد لمقولة **الخوارج والزنادقة** الذين وضعوا حديثًا للتملُّصِ من التزامهم بالسنة النبوية، وهو ما روي عن النبي ﷺ: «ما جاءكم عني فاعرضوه علىٰ كتاب الله، فما وافقه فأنا قلتُهُ وما خالفه فلم أقله». قال عبد الرحمن بن مهدي: "الزنادقة

---

[1] الروح، ابن قيم الجوزية: ص ٤٨٨.

[2] قواطع الأدلة، أبو المظفر السمعاني: ٢/ ٤١٣- ٤١٤.

والخوارج وضعوا هذا الحديث".[١]

فلينتبه المسلم الطالب للحقِّ، لمثل هذه الأساليب في التعامل مع الأحاديث النبوية، وهذا الجفاء في التعامل مع الأخبار المصطفوية، فالمسلم من سلَّم لله ولرسوله، قال الإمام الزهري: "مِنَ الله الرسالة، وعلىٰ رسول الله ﷺ البلاغ، وعلينا التسليم".[٢]

وأما ردُّ الأحاديث بدعوىٰ مخالفتها للقرآن فهو فعل الزنادقة والمنافقين المتستِّرين، قال علي بن المديني: "**إنما يردُّ الحديثَ علىٰ رسول الله المنافقون**".[٣]

هذا ما تيسَّر تلخيصُهُ في هذه المسألة، نصحًا للأمَّة، وبيانًا للحجة، فلا يزال بعض الناس بين الفينة والأخرىٰ، يريد التشويش علىٰ المسلمين بالطعن في أوثق مصادر سنة نبيهم بمثل هذه الأفكار البالية، والله أعلم بمقاصدهم ونياتهم، وعلىٰ أهل السنة والجماعة

---

[١] السنة ومكانها في التشريع، السباعي: ص ٨٢.

[٢] الجامع الصحيح، البخاري: ٩/ ١٥٤.

[٣] الجزء الخامس من الأحاديث المعللة لابن المديني: ص ٨٩.

التصدِّي لمثل هذه الحملات المغرضة، إِذْ الطعنُ في الصحيحين وردُّ الأحاديث هو أول الخطىٰ نحو التشكيك في دين الإسلام، وجرِّ المسلمين نحو الإلحاد واللادينية.

أسأل الله سبحانه أن يحفظ دينه وسنَّة نبيه، وأن يعيذنا من طريق أهل الزَّيْغِ والضلال، وأن يوفقنا للثبات علىٰ دينه، والعمل علىٰ نصرة سنَّة نبيه، غير مبدِّلين ولا مغيِّرين حتىٰ نلقاه وهو راضٍ عنَّا.. آمين يا ربَّ العالمين.

وكتبه:
الدكتور: نبيل بن أحمد بلهي
أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأمير عبد القادر بالجزائر

Nabil.belhi@gmail.com

عشية يوم الاثنين:
٠١ ربيع الآخر ١٤٤٢ هـ
١٦ نوفمبر ٢٠٢٠